الفصل الرابع

خطأ الاستشهاد بالعهد القديم

رسالة المسيح وشهادات العهد القديم

تقول الأناجيل أن المسيح بعد أن عمده يوحنا فى مياه نهر الأردن ، فانه تعرض للتجربة والاختبار من الشيطان ، « ولما أكمل إبليس كل تجربة فارقه إلى حين » .

لقد أصبح المسيح بهذا مهيأ لحمل الرسالة .

وفى بدء دعوته فإنه « جاء إلى الناصرة حيث كان قد تربى . ودخل المجمع الذى حسب عادته يوم السبت وقام ليقرأ . فدفع إليه سفر أشعياء النبى . ولما فتح السفر وجد الموضع الذى كان مكتوباً فيه :

روح الرب على لأنه مسحنى لأبشر المساكين أرسلنى لأشفى المنكسرى القلوب لأنادى للمأسورين بالإطلاق وللعمى بالبصر ..

ثم طوى السفر وسلمه إلى الخادم وجلس .. فابتدأ يقول لهم أنه اليوم قد تم هذا المكتوب فى مسامعكم — لوقا ٤ : ١٣ — ٢١ »

لقد أعلن المسيح بهذا أن رسالته تجد لها سندا فى أسفار العهد القديم ، فليؤمن اليهود إذن بالدعوة وصاحبها .

*

ولقد كان الرجوع إلى إشارات العهد القديم وسيلة هامة يستعين بها المسيح فى محاوراته مع تلاميذه ، وفى مواضع الجدل والتحدى الذى كان يلقاه من اليهود .

وفى أحد المواقف قال مرة لتلاميذه عن اليهود الجاحدين : « قد تمت فيهم نبوءة أشعياء القائلة تسمعون سمعا ولا تفهمون ، ومبصرين تبصرون ولا تنظرون . لأن قلب هذا الشعب قد غلظ — متى ١٣ : ١٤ — ١٥ .

وفى مواجهة مع ذلك الصنف من اليهود قال لهم : « فتشوا الكتب لأنكم تظنون أن لكم فيها حياة أبدية ، وهى التى تشهد لى — يوحنا ٥ : ٣٩ » .

★

وبالمثل كان تلاميذ المسيح يستخدمون ما يستشعرونه نبوءة أو رمزاً للأحداث الهامة فى حياة المسيح وحياة تلاميذه ، باعتبار ذلك أقوى حجة يمكن استخدامها فى اقناع اليهود .

فبعد رفع المسيح وقف بطرس يتكلم عن يهوذا الخائن ويقول : « كان ينبغى أن يتم هذا المكتوب الذى سبق الروح القدس فقاله بفم داود عن يهوذا الذى صار دليلا للذين قبضوا على يسوع ..

لأنه مكتوب فى سفر المزامير لتصر داره خراباً ولا يكن فيها ساكن — أعمال الرسل ١ : ١٦ — ٢٠ »

★★

خطأ فهم أسفار العهد القديم

لقد حرص كتبة أسفار العهد الجديد على الربط بين ما كان من أمر المسيح ، وما رأوه تنبوءات سبق أن تكلم بها أنبياء العهد القديم . ولقد كان متى أكثر كتبة الأناجيل حرصاً على ذلك . « فلقد استخدم متى فى إنجيله عشر مرات ، صيغة يقدم بها للاستشهاد من العهد القديم ، وهذه الصيغة تقول : وهذا كان لكى يتم ما قيل من الرب بالنبى القائل .

(انظر متى ١ : ٢٢ ، ٢ : ١٥ ، ١٧ ؛ ٢٣ ، ٤ : ١٤ ، ٨ : ١٧ ، ١٢ : ١٧ ، ١٣ : ٣٥ ، ٢١ : ٤ ، ٢٧ : ٩) .

إن هذه الشهادات التى قدم لها متى بتلك الصيغة ، إنما هى إضافات من عمل متى لمصدره ونعنى به إنجيل مرقس ، وهى واحدة من أهم ما يتميز به إنجيل متى .

وبجانب ذلك فانه توجد مواضع كثيرة فى هذا الإنجيل نستطيع أن نجزم فيها بأن متى كان يكتب وفى تفكيره إحدى فقرات العهد القديم ، على الرغم من أنه لم يشر إليها صراحة .

وعلى سبيل المثال فان قول متى : اعطوه خلا ممزوجاً بمرارة (٢٧ : ٣٤) ، يمكن مقارنته بما فى المزمور الذى يقول : يجعلون فى طعامى علقماً وفى عطشى يسقوننى خلا (٦٩ : ٢١)

ولو أن هذا يخالف نظيره فى إنجيل مرقس : واعطوه خمراً ممزوجة بمر ليشرب (١٥ : ٢٣) . .

إن الدراسة الحديثة للعهد القديم لا تؤيد مفهوم متى لما فيه ، كما أنها لا توافقه على الفقرات التى استخرجها من أسفاره ، عندما كان يكتب إنجيله .

لقد أصبح واضحاً الآن أن العهد القديم لم يكن تجميعاً لتنبوءات عن أحداث المستقبل يمكن أن تفهم فقط بعد أن تمضى عدة قرون .

إن كتبة أسفار العهد القديم كانوا يكتبون فى الواقع لمعاصريهم بالطريقة التى يفهمونها ، ويتكلمون عن أشياء من الممكن أن تحدث إبان حياتهم . .

لقد كان من المعتقد أن داود هو مؤلف المزامير ، وقد فهم المسيحيون كثيرا من الفقرات المذكورة فى المزامير على أنها إشارات للمسيح ، ونذكر على سبيل المثال ما جاء فى سفر أعمال الرسل (الفقرة ٢ : ٢٥ وما بعدها) حيث نجد شهادات من المزامير : ١٦ ، ١٣٢ ، ١١٠

ولقد أصبح معلوماً الآن أن كثيراً من المزامير لم يكتبها داود ، وإنما هى من نتاج عصر متأخر . كذلك فان فقرات من تلك المزامير التى يقرؤها المسيحيون باعتبارها نبوءات عن المسيا (المنتظر) كان معناها الأصلى مختلفاً عما فهموه »(١)

*

ويقول تشارلس دود : « إننا إذا أمعنا النظر فى الكتب (من العهد القديم) التى كونت المصادر الرئيسية للشهادة ، فان قدراً صغيراً ملحوظا منها هو الذى يصرح بما يتعلق بالمسيا ، إما لأنها تحتوى على اللقب : مسيا (مسيح الرب) ، أو لأنه يمكن إثبات أن تلك الكتب كان لها تفسير مسيانى فى اليهودية التى كانت قبل المسيحية .

إن الألقاب المتميزة التى نقلت من نبوءات (العهد القديم) بغية إظهار الإنجيل وإعلان الأحداث التى تتعلق بيسوع ، كانت :

ابن الإنسان ، وعبد (الله) .

ومما يجدر ذكره أن أياً من هذين اللقبين ، لم تكن له الأهمية القصوى فى العقيدة اللاهوتية المتطورة (فيما بعد) للكنيسة . إن كليهما ينسب إلى المرحلة الأولى (من المسيحية) »(٢) .

*

نعم — لقد كانت المرحلة الأولى من المسيحية التى عاصرت المسيح وتلاميذه وتابعيهم ، تؤمن بأن المسيح . ابن لآدم ، وعبد لله — لكن العقيدة التى تطورت فيما بعد ، أهملت ذلك وخلعت عليه ألقاباً لاهوتية كان من أبرز نتائجها أن انقسمت العقيدة الواحدة إلى عقائد شتى وفلسفات متباينة .

**

---

(١) المرجع ٧ — ص١٧ ، ١٨ ، ٣٥٩ .

(٢) المرجع ٩ — ص ١١٦ .

C.H. Dodd : ACCORDING TO THE SCRIPTURES

شهادات العهد القديم

من دراسة قام بها رندل هاريس ونشرها فى كتابه : الشهادات (عام ١٩١٦ ، ١٩٢٠) نجد أن شهادات العهد القديم التى ذكرت تصريحاً أو تلميحاً فى أسفار العهد الجديد يمكن تصنيفها كالآتى :(٣)

١ — فقرات يستشهد بها أكثر من كاتب من كتاب العهد الجديد ، وتختلف نصوصها المنقولة عما فى الترجمة الإغريقية لأسفار العهد القديم التى تعرف بالسبعينية ، كما تختلف عما فى النسخة العبرية . ومن النادر تحديد مصادر تلك الترجمة .

٢ — فقرات مركبة تظهر فى أكثر من كتاب من كتب العهد الجديد وقد تكونت خليطا من فقرتين أو أكثر ، ويرجح أنها نقلت عن مصدر خلطت فيه من قبل ، ويبدو هذا واضحا من الأمثلة التى نجد فيها « أن الكاتب قد نقل خطأ فقرتين لمؤلفين مختلفين ، ثم نسبهما لمؤلف واحد كما فى إنجيل مرقس (١ : ٢—٣) الذى اقتبس فقرة مركبة وهى عبارة عن خليط من سفرى ملاخى وأشعياء ، ثم نسبها خطأ إلى أشعياء .

إن هذا الخطأ يمكن أن يحدث بسهولة عندما ينقل الكاتب شهاداته من مقتطفات أدبية لمؤلف خلط النبؤتين معاً ، ولا يحدث ذلك الخطأ لو كان الكاتب قد نقل عن السفرين المشار اليها » .

٣ — فقرات ارتبطت بكلمة متميزة أو فكرة مثل الفقرات التى تتكلم عن حجر ، ومنها الحجر الذى رفضه البناءون — حجر الزاوية — حجر عثرة ، وهذه نقلت إلى أسفار العهد الجديد بتأويلات مختلفة .

*

لقد ترتب على خطأ فهم أسفار العهد القديم ، أن كانت الشهادات التى نقلها كتبة الأناجيل وبقية أسفار العهد الجديد ، لاتتفق وما ركزوا على تأكيده ، ألا وهو قولهم : أن المسيح ابن الله ، وأنه صلب فداء عن كثيرين .

---

(٣) المرجع ٩ — ص ٢٤ ، ٢٥ .

ونسوق فيما يلى ثمانية من شهادات العهد القديم التى نقلها كتبة العهد الجديد، لنتعرف على أنواعها المختلفة، ونتبين مقدار الصدق فى الاستشهاد بها.

ولسوف نركز على ما أورده إنجيلا متى ويوحنا لسببين: أما أحدهما فهو أن إنجيل متى يعتبر أكثر الأناجيل استشهاداً بما فى العهد القديم. وأما الثانى فلأن ذلك الأنجيل يندرج تحت قائمة الأناجيل المتشابهة — التى تضم إليه إنجيلى مرقس ولوقا — والتى تكون تعليما عقائديا يخالف ذلك التعليم الذى انفرد به إنجيل يوحنا.

وبذلك يمكن القول بأن دراستنا لما فى إنجيلى متى ويوحنا من شهادات، تعتبر دراسة لما فى الأناجيل الأربعة.

وهذه الشهادات الثمان منها خمس من إنجيل متى هى:

(٢ : ٤–٦) ، (٢ : ١٤–١٥)، (١٢ : ١٧–٢١)، (٢٧ : ٣–١٠) (٢ : ٢٣)

وثلاث من إنجيل يوحنا هى:

(١٣ : ١٨) ، (١٥ : ٢٤–٢٥) ، (١٩ : ٣٢–٣٦)

ومصادرها من العهد القديم (٤) هو ماجاء فى الأسفار الآتية على الترتيب:

(ميخا ٥ : ٢ ، صموئيل الثانى ٥ : ١–٣) ، (خروج ٤ : ٢١–٢٢) ، هوشع ١١ : ١) ، (أشعياء ٤٢ : ١–٤) ، (زكريا ١١ : ١٢–١٣) ، (نبوءة ليس لها أصل فى أسفار العهد القديم)، (مزمور ٤١ : ٩) ، (مزمور ٣٥ : ١٩) ، (مزمور ٣٤ : ٢٠) .

* *

من شهادات إنجيل متى

١ — تقول أسفار العهد القديم : «**أما أنت يا بيت لحم أفراتة وأنت صغيرة . أن تكونى بين الآلاف يهوذا فمنك يخرج لى الذى يكون متسلطا على اسرائيل** — ميخا ٥ : ٢ » .

---

(٤) المرجع ٩ — ص ٦٤ ، ٧٥ ، ٨٩ ، ٩٩ ، ١٠٠ .

وكذلك تقول : « جاء جميع أسباط اسرائيل إلى داود .. وتكلموا قائلين هوذا عظمك ولحمك نحن .

ومنذ أمس وما قبله حين كان شاول ملكا علينا قد كنت أنت (ياداود) تخرج وتدخل اسرائيل وقد قال لك الرب أنت ترعى شعبي اسرائيل وأنت تكون رئيسا على اسرائيل ..

فقطع الملك داود معهم عهداً فى حبرون أمام الرب ومسحوا داود ملكا على اسرائيل — صموئيل الثانى ٥ : ١—٣ »

*

ولقد رأى كاتب إنجيل متى أنه يمكن خلط هاتين الفقرتين معاً لتخرج منها فقرة مركبة يمكن استخدامها فى الإشارة إلى أن مولد المسيح فى بيت لحم ، إنما كان تحقيقا لنبؤة العهد القديم .

وفى هذا يقول : « سألهم (الملك هيرودس) أين يولد المسيح . فقالوا له فى بيت لحم اليهودية .

لأنه هكذا مكتوب بالنبي . وأنت **يا بيت لحم** أرض يهوذا **لست الصغرى** بين رؤساء يهوذا . **لأن منك يخرج مدبر يرعى شعبي اسرائيل** — ٢ : ٤—٦» .

ويقول جون فنتون تعليقا على هذه الشهادة : « إن النبؤة من ميخا (٥ : ٢) لكنها ليست فى الترجمة السبعينية الإغريقية ، كما أنها ليست ترجمة صادقة عن النص العبرى (ويستطيع القارىء ملاحظة ذلك بسهولة) ومن المحتمل أن يكون صموئيل الثانى (٥ : ٢) قد ضم إلى نبؤة ميخا»(٥).

*

ومن الواضح أن فقرة صموئيل الثانى تتكلم عن تاريخ داود وكيف إختاره الشعب ملكا ، أما فقرة ميخا فإنها تتنبأ عن حاكم صالح يحكم اسرائيل .

---

(٥) المرجع ٧ — ص ٤٦ .

ومن المعلوم أن المسيح لم يتسلط على اسرائيل يوما واحداً . فلقد « قال له واحد من الجمع يا معلم قل لأخى أن يقاسمنى الميراث . فقال له يا إنسان من أقامنى عليكما قاضيا أو مقسما — لوقا ١٢ : ١٣ — ١٤ »

وحين علم المسيح « أنهم مزمعون أن يأتوا ويخطفوه ليجعلوه ملكا إنصرف أيضاً إلى الجبل وحده — يوحنا ٦ : ١٥ » .

فمما لاشك فيه أن هذا الخليط من فقرات العهد القديم لايستطيع أن يعطى فى صورته المركبة نبؤة تنطبق على المسيح .

* *

٢ — ويقول سفر الخروج أنه فى بدء رسالة موسى كان الوحى إليه : « عندما تذهب لترجع إلى مصر .. فتقول لفرعون هكذا يقول الرب . **اسرائيل ابنى البكر . قلت لك أطلق ابنى ليعبدنى — ٤ : ٢١—٢٣** » .

ونجد فى أسفار العهد القديم أن لفظ : ابن الله — قد أطلق على الأنبياء ، كما قيل عن سليمان ، كذلك فإنه أطلق على الشعب الاسرائيلى ، كما جاء فى سفر الخروج — المشار إليه — وفى غيره من الأسفار .

ولهذا فان سفر هوشع حين يذكر بعضا من رحمة الله التى أنعم بها فيما مضى على الشعب الاسرائيلى ، فانه يذكر دعوة الله له بالخروج من مصر تحت قيادة موسى ، ليخلصهم من ذل العبودية التى ذاقوها على يد فرعون .

وفى هذا يقول هوشع : « **لما كان اسرائيل غلاما أحببته ومن مصر دعوت ابنى — ١١ : ١** » .

*

لكن متى رأى أنه يمكن الربط بين دعوة الشعب الاسرائيلى للخروج مصر ، وبين عودة الصبى يسوع منها بعد وفاة الطاغية هيرودس إذ أن الحدثين — الخروج والعودة — يتعلقان بمصر ولذلك تجده يقول : « قام (يوسف زوج مريم) وأخذ الصبى وأمه ليلا وإنصرف إلى مصر وكان هناك إلى وفاة هيرودس .

لكى يتم ماقيل من الرب بالنبى القائل من مصر دعوت ابنى -٢ : ١٤-١٥ » .

إن هذة الشهادة التى ساقها متى من سفر هوشع انما تشير إلى« دعوة الرب للشعب الاسرائيلى باعتباره ابنا له للخروج من مصر (على عهد موسى) » (٦) ، وليس هناك مايجعلها نبؤة تشير إلى عودة للصبى يسوع لأن ما ذكرته أسفار العهد القديم عن دعوة الابن من مصر لايخرج عن كونه مجرد سرد لحادث مضى .

★★

٣ - يذكر سفر أشعياء نبؤة عن النبى المختار ، عبد الله ورسوله الذى يأتى بشريعة الحق تلك التى تنتظرها أمم الأرض - فيقول :

هوذا عبدى الذى أعضده ، مختارى الذى سرت به نفسى .

وضعت روحى عليه فيخرج الحق للأمم .

لايصيح ولا يسمع فى الشارع صوته .

قصبة مرضوضة لايقصف ، وفتيلة خامدة لايطفىء . إلى الأمان يخرج الحق .

لا يكل ولا ينكسر حتى يضع الحق فى الأرض .

وتنتظر الجزائر شريعته - ٤٢-٢-٤ » .

★

ولقد رأى كتبة الأناجيل أن تلك النبؤة تحققت فى المسيح ، ولهذا يقول متى :

« لكى يتم ماقيل بأشعياء النبى القائل :

هوذا فتاى الذى اخترته ، حبيبى الذى سرت به نفسى .

أضع روحى عليه فيخبر الأمم بالحق .

---

(٦) المرجع ٧ - ص ٤٨ .

لا يخاصم ولايصيح ولا يسمع أحد فى الشوارع صوته .

قصبة مرضوضة لايقصف . وفتيلة مدخنة لا يطفىء . حتى يخرج الحق إلى النصرة . وعلى إسمه يكون رجاء الأمم —١٢ : ١٧—٢١ » .

*

ويقول جون فنتون عن هذه النبوة : « إن هذه تعتبر أطول فقرة استشهد بها من كتب العهد القديم .

ومن الواضح أن متى لم يتبع نص أى من النسختين العبرية أو الاغريقية لكنه سار على أخذ نصوص حسبما رآها تناسب رأيه من أن النبوة تحققت فى يسوع وفى الكنيسة .

ولقد حذف متى سطرين من أشعيا ٤٢ : ١—٤ ، ولكنه أبقى على السطر الأخير الذى رأى أنه يحقق هدفه » (٧) .

*

بعد ذلك نلاحظ شيئا هاما ، وهو أن هذه النبؤة تتعلق بنبى أول صفاته أنه : عبد الله . ولقد حاول مترجموا النسخة العربية لإنجيل متى أن يبتعدوا عن هذا الوصف الصريح لذلك النبى فاستبعدوا كلمة : عبدى — المذكورة فى الترجمة العربية لأشعياء وترجمتها فى النسخة الانجليزية my servant — بكلمة : **فتاى** ، وترجمتها فى النسخة الانجليزية لانجيل متى أيضاً my servant — وإن كان هذا لايغير من حقيقة الأمر شيئاً ، إذ أن كلمة فتى تعنى فى اللغة العربية : عبد ، أيضاً .

فإذا سلمنا — جدلا — بأن نبؤة أشعياء التى ذكرها متى تتحقق فى المسيح لكان من اللازم أن تكون أول صفاته أنه : عبد الله .

وحين يتفق المسيحيون على أن أول صفات المسيح أنه : عبد الله ، تتحقق الوحدة المسيحية . أما أن يستشهد بفقرة تقول أن يسوع : عبد الله ، ثم

---

(٧) المرجع ٧ — ص ١٩٥ .

تقول فقرات أخرى من الإنجيل أنه غير ذلك ، فان هذا تضارب واضح يترك أمر الحكم فيه لعقل القارىء وضميره .

★★

٤ — يتكلم سفر زكريا عما حدث بينه وبين شعبه فيقول : « قلت لهم إن حسن فى أعينكم فاعطونى أجرتى وإلا فامتنعوا . فوزنوا أجرتى **ثلاثين من الفضة** .

فقال لى الرب القها إلى الفخارى **الثمن الكريم** الذى ثمنونى به . فأخذت الثلاثين من الفضة وألقيتها إلى الفخارى **فى بيت الرب** — زكريا ١١ : ١٢ — ١٣ » .

★

لكن إنجيل متى يربط بين هذه الحادثة التى وقعت لزكريا ، وبين ما قاله عن يهوذا الذى خان سيده المسيح نظير ثمن قليل من الفضة — فيقول : « حينئذ لما رأى يهوذا الذى أسلمه أنه قد دين ندم ورد **الثلاثين من الفضة** إلى رؤساء الكهنة والشيوخ .. فطرح الفضة فى الهيكل وإنصرف ثم مضى وخنق نفسه .

فأخذ رؤساء الكهنة الفضة **وقالوا لا يحل أن نلقيها فى الخزانة لانها ثمن دم** .

فتشاوروا واشتروا بها حقل الفخارى مقبرة للغرباء ..

حينئذ تم ماقيل بارميا **النبى** القائل وأخذوا الثلاثين من الفضة ثمن المثمن الذى ثمنوه من بنى اسرائيل . وأعطوها عن **حقل الفخارى** كما أمرنى الرب — ٢٧ : ٣—١٠ » .

★

ويتفق العلماء على أن الخطأ فى هذه الشهادة ظاهر اذ أنه « من زكريا ١١ : ١٢ وما بعدها ، وليس من إرميا » (٨) .

---

(٨) المرجع ٧ — ص ٤٣٢ .

وليست مشكلة هذه الشهادة أن كاتب إنجيل متى أخطأ فيها من حيث الشكل والاطار العام ، حين حسبها من سفر أرميا بينما هى من سفر زكريا ، لكن فيها أخطاء موضوعية تتضح لنا حين نقارن بين عناصرها ، والعناصر التى تحتوى عليها قصة هلاك يهوذا الخائن ، فنجد أن القصتين على طرفى نقيض ، ولايمكن أن تكون أولاهما — قصة زكريا — صورة مطابقة سبق التنبؤ بها للقصة الثانية التى ذكرها متى عن نهاية يهوذا — ذلك أن :

بطل قصة زكريا هو نبى كريم يتلقى الوحى من الله ، بينما بطل قصة متى خائن حقير صارت خيانته مثل سوء فى العالمين .

ولقد تسلم زكريا ثلاثين من الفضة، ثمنا كريما ارتضاه الله لصنيعه مع شعبه ، بينما كانت الفضة التى تسلمها يهوذا ثمنا خسيسا يرفضه كل الناس بما فيهم يهوذا الخائن نفسه ،الذى حين رجع إلى نفسه وحاسبها فانه خجل أن يمتلك ثمن الخيانة ،وذهب ليودعها فى خزينة بيت، الرب كمايقول الانجيل .

ولما كانت فضة زكريا ثمنا كريما فانها قبلت فى بيت الرب ، أما فضة يهوذا ، فكما أنها رفضت من يهوذا نفسه ، فانها رفضت كذلك من كهنة اسرائيل المنافقين الذين أبوا أن يقبلوها فى خزينة بيت الرب ، لأنها ثمن رجس على شاكلة ما حرمته شريعة موسى التى تقول .. « لا تدخل أجرة زانية ولا ثمن كلب إلى بيت الرب الهك عن نذر ما لأنهما كليهما رجس لدى الرب الهك — تثنية ٢٣ : ١٨» .

★

وجدير بالذكر أن انجيل مرقس الذى كان المصدر الرئيسى لانجيلى متى ولوقا ، لم يحدد قيمة ثمن الخيانة وإنما قال : « ثم إن يهوذا الأسخريوطى .. مضى إلى رؤساء الكهنة ليسلمه اليهم . ولما سمعوا فرحوا ووعدوه أن يعطوه فضة — مرقس ١٤ : ١٠ — ١١ » .

وكذلك فى إنجيل لوقا : « فمضى (يهوذا) وتكلم مع رؤساء الكهنة وقواد الجند كيف يسلمه اليهم . ففرحوا وعاهدوه أن يعطوه فضة . فواعدهم — لوقا ٢٢ : ٤ — ٦ » .

من هذا نتبين أن متى قد إنفرد عن بقية الأناجيل – ومنها إنجيل يوحنا – بتحديد ثمن الخيانة بثلاثين من الفضة . وما ذلك إلا لأن فقرة زكريا التى تكلمت عن ثلاثين من الفضة والفخارى كانت فى ذاكرة متى وهو يكتب إنجيله ، ولهذا قرر إعتبارها شهادة عن خاتمة يهوذا .

وما ذلك على متى بجديد ، فمن قبل قرأ متى فى سفر زكريا قوله ،

« ابتهجى جداً يا ابنة صهيون اهتفى يا بنت أورشليم . هوذا ملكك يأتى اليك هو عادل ومنصور وديع وراكب على حمار وعلى جحش ابن أتان – زكريا ٩ : ٩ » .

وقد اعتبر متى هذا نبؤة عن دخول المسيح أورشليم فقال ،

« كان هذا لكى يتم ماقيل بالنبى القائل . قولوا لابنة صهيون هوذا ملكك يأتيك وديعا راكبا على أتان وجحش إبن أتان – متى ٢١ : ٤–٥» .

« ويبدو أن متى فهم هذه النبوءة حرفيا، ولهذا أدخل إلى قصته حيوانين (حمارين » (٩) .

وهما أتان وجحش ، بينما اتفقت بقية الأناجيل – كما سبق أن رأينا – على أن المسيح استخدم فى دخوله أورشليم حيوانا واحداً (جحشا) .

هذا – ولا نظن أحدا لديه شك فى أن هذه الشهادة التى ساقها متى خاطئة شكلا وموضوعا .

★★

٥ – وكما أخطأ متى فى الاستشهاد بفقرة حسبها من ارميا بينما هى زكريا، فإنه أخطأ كذلك خطأ من نوع آخر وذلك فى شهادته التى يقول عنها :

« وأتى (يسوع) وسكن فى مدينة يقال لها ناصرة . لكى يتم ما قيل بالأنبياء أنه سيدعى ناصريا – ٢ : ٢٣ » .

★

---

(٩) المرجع ٧ – ص ٢٣٠ .

إن أسفار الأنبياء لم تقل شيئا من هذا ، وإن العلماء متفقون على « أن مصدر هذه النبوة غير معلوم »(١٠) ويستطيع القارىء أن يتصفح أسفار العهد القديم بحثا عن هذه الشهادة ولن تكون نتيجة بحثه سوى العودة بخفى حنين .

إننا فى هذا المثل أمام شهادة لايعرف لها أصل ، وهى بذلك صنف عجيب من أصناف الشهادات .

★★

من شهادة انجيل يوحنا :

١ ــ يقول داود فى المزمور ٤١ :

« طوبى للذى ينظر إلى المسكين **فى يوم الشر ينجيه الرب . الرب يحفظه ويحييه ويغتبط فى الأرض ولا يسلمه إلى مرام أعدائه** . الرب يعضده وهو على فراش الضعف . أنا قلت يارب ارحمنى .. أعدائى يتقاولون على بشر . متى يموت ويبيد اسمه .. كل مبغضى يتناجون معا على . على تفكروا بأذيتى . يقولون أمر ردىء قد انسكب عليه . حيث اضطجع لايعود يقوم **أيضاً رجل سلامتى الذى وثقت به آكل خبزى رفع على عقبه .**

أما أنت يارب فارحمنى وأقمنى فاجازيهم . بهذا علمت أنك سررت بى أنه لم يهتف على عدوى أما أنا فبكما لى دعمتنى قدامك إلى الأبد » .

★

ويقول المفسرون فى مقدمة هذا المزمور ــ فى نسخة الملك جيمس ــ أنه يقرر ثلاثة أمــور : عناية الله بالمســكين ــ وشكوى داود من خيانة أعدائه ــ ثم هو يلجأ إلى عون الله .

ومن الواضح أن هذا المزمور يبدأ بتقرير أن الله حافظ عبده ، ولن « يسلمه إلى مرام أعدائه » الذين يريدون موته .

---

(١٠) المرجع ٧ ــ ص ٥١

وفى فقرته الثانية نجد هذا العبد يستنجد برحمة الله لتتداركه من أذى الموت الذى ظن أعداؤه أنه قد أحاط به ، ولذلك قالوا : أمر ردىء قد انسكب عليه . حيث اضطجع لايعود يقوم » . ثم يشكو هذا العبد من خيانة صديقه الذى وثق به وأكرمه .

وتبين الفقرة الأخيرة أن الله قد نصر عبده — تأكيدا لما جاء فى الفقرة الأولى — فقد علم ذلك العبد أن الله قد سر به فدعمه ونجاه من يوم الشر بعد أن أخمد صوت عدوه .

★

لقد رأى يوحنا أن هذا المزمور يشير إلى موقف تعرض له المسيح حين خانه تلميذه يهوذا الاسخريوطى — واتفق مع شيوخ إسرائيل على قتله — ولهذا يقول على لسان المسيح :

« أنا أعلم الذين اخترتهم (من تلاميذى). لكن ليتم الكتاب الذى يأكل معى الخبز رفع على عقبه — يوحنا ١٣ : ١٨ » .

إن كان هذا المزمور نبؤة عن المسيح فمعناه الواضح الصريح الذى لالبس فيه ولا إبهام أن الله نجاه من مؤامرة الأشرار .

لقد كانوا يريدون موته ، فلم يسلمه الله إلى مرام أعدائه .

إن النتيجة التى لامفر من مواجهتها : هى الأعتراف بنجاة المسيح ، مع التسليم بخطأ شهادة يوحنا الذى يعتقد فى نجاح مؤامرة التلميذ الخائن .

★★

٢ — ويقول داود فى المزمور ٣٥ :

« خاصم يارب مخاصمى .قاتل مقاتلى .. انهض إلى معونتى .

ليخز وليخجل الذين يطلبون نفسى . . **ملاك الرب داحرهم . . ملاك الرب طاردهم** . لأنهم بلاسبب أخفوا لى هوة شبكتهم . بلاسبب حفروا لنفسى .

لتأته التهلكة وهو لايعلم ولتنشب به الشبكة التى أخفاها وفى التهلكة نفسها ليقع .

لايشمت بى الذين هم أعدائى باطلا. ولا يتغامز بالعين **الذين يبغضوننى بلاسبب** .. فغروا على أفواههم أقض لى حسب عدلك يارب الهى فلا يشمتوا بى.. لايقولوا ابتلعناه .. ليبخز وليخجل معا الفرحون بمصيبتى ..

ليهتف ويفرح المبتغون حقى وليقولوا دائماً **ليتعظم الرب المسرور بسلامة عبده** » .

★

فى هذا المزمور نجد العبد الصالح تضرع إلى ربه طالبا النجاة من شبكة الهلاك التى نصبها له عدوه ، ثم هو يدعوا أن يقع ذلك العدو فى الحفرة التى حفرها ، ويثق فى استجابة طلبه .

لقد كان المتآمرون يظنون أنهم ابتلعوه ، لكن الرب نجاه وسر بسلامة عبده .

★

ولقد رأى يوحنا أن فى هذا المزمور نبؤة عن المسيح ، فقال على لسانه :

« أما الآن فقد رأوا وأبغضونى . . **لكن لكى تتم الكلمة فى ناموسهم أنهم ابغضونى بلا سبب** – يوحنا ١٥ : ١٤-٢٥ » .

ومرة أخرى إن كان هذا المزمور نبؤة عن المسيح فإنما هو تقرير عن نجاته من المتآمرين الذين أبغضوه بلا سبب وظنوا أنهم أماتوه وابتلعوه .

لقد نجاه الله وسر بسلامة عبده – وسر كذلك المؤمنون .

★★

٣ – ويقول داود فى المزمور ٣٤ :

« **اباركك الرب** فى كل حين . دائماً تسبيحة فى فمى . .

طلبت إلى الرب فأستجاب لى . ومن كل مخاوفى انقذنى .

نظروا إليه وإستناروا ووجوههم لم تخجل .

هذا المسكين صرخ والرب استمعه ومن كل ضيقاته خلصه . ملاك الرب حال حول خائفيه وينجيهم . . عينا الرب نحو الصديقين وأذناه إلى صراخهم .

وجه الرب ضد عاملى الشر ليقطع من الأرض ذكرهم .

أوليك صرخو اوالرب سمع ومن كل شدائدهم انقذهم . .

كثيرة هى بلايا الصديق ومن جميعها ينجيه الرب . يحفظ جميع عظامه . واحد منها لاينكسر الشر يميت الشرير ومبغضوا الصديق يعاقبون ».

*

من الواضح أيضاً أن هذا المزمور — مثل سابقيه — يؤكد نجاة العبد الصالح من مؤامرة الأشرار إذ يستجيب الله دعاءه ويرسل ملاكه لنجاته . أما ذلك الشرير المتآمر فإنه يموت ويقضى عليه ويمحى ذكره من الأرض.

*

ويذكر يوحنا أنه بعد حادثة الصلب فقد « سأل اليهود بيلاطس أن تكسر سيقانهم ويرفعوا فأتى العسكر وكسروا ساقى الأول والأخر المصلوب معه . وأما يسوع فلما جاءوا إليه لم يكسروا ساقيه لأنهم رأوه قد مات . . لأن هذا كان ليتم الكتاب القائل عظم لايكسر منه — يوحنا ١٩ : ٣١—٣٦ » فهو قد رأى فى عدم كسر سيقان المصلوب تحقيقا لنبؤة العهد القديم .

*

وتتفق الأناجيل على أنه فى الساعات العصيبة كان المسيح يصرخ إلى الله أن ينجيه من مؤامرة القتل ، فقد « ابتدأ يحزن ويكتئب فقال لهم (لتلاميذه) نفسى جد حزينة جداً حتى الموت . أمكثوا ههنا واسهروا معى .

ثم تقدم قليلا وخر على وجهه وكان يصلى قائلا يا أبتاه إن أمكن فلتعبر عنى هذه الكأس — متى ٢٦ : ٣٧—٣٩ » .

من الواضح إذن أن المسيح كان يرجوا الله أن يدرأ عنه الخطر الداهم ، خطر الوقوع فى قبضة أعداء يطلبون نفسه للقتل .

فإذا كان هذا المزمور نبوة عن المسيح ، فإنه يقول : « المسكين صرخ والرب استمعه ومن كل ضيقاته خلصه .

ملاك الرب حال حول خائفيه وينجيهم » .

لقد حفظت بهذا نفس المسيح من القتل وحفظت عظامه ولحمه ودمه. ، أما أن يقال أنه قتل ثم حفظت عظامه من الكسر فذلك ما لا ينطق به المزمور . إن كل ذى فكر سليم يعلم أنه لايضير الشاة سلخها بعد ذبحها .

★★★

أما بعد — فإن الكتب المقدسة فيها من التشبيهات ما لا يعنى شيئا أكثر من أعطاء فكرة ما أو انطباع معين يمكن استيعابه .

وإن أسفار العهد القديم تمتلىء بالكثير من هذه التشبيهات فمنها مايصور الرب كأنه حيوان مفترس يتربص بشعب إسرائيل ليهلكه جزاء فسقه وشروره . ومن هذه التشبيهات العجيبة ما يقول :

« أنا الرب الهك من أرض مصر والها سواى لست تعرف ولا مخلص غيرى ، أنا عرفتك فى البرية فى أرض العطش .

لما رعوا شبعوا . شبعوا وارتفعت قلوبهم لذلك نسونى .

فأكون لهم كأسد . أرصد على الطريق كنمر. أصدمهم كدبة .. وآكلهم هناك كلبوة — هو شع ١٣ : ٤—٨ »

ومنها ما يشبه الرب وشعب إسرائيل كزوج له مرأة زنت فطلقها — كما يقول النبى أرميا :

« قال الرب لى فى أيام يوشيا الملك . هل رأيت ما فعلت العاصية إسرائيل. انطلقت إلى كل جبل عال وإلى كل شجرة خضراء وزنت هناك . .

فرأيت أنه لأجل كل الاسباب اذ زنت العاصية اسرائيل فطلقتها وأعطيتها كتاب طلاقها — أرميا ٣ : ٦—٨ »

★

ولقد رأينا أن كثيراً من الفقرات التى رأى فيها كتبة الأناجيل – وبقية أسفار العهد الجديد – نبؤات عن المسيح ، قد طبقوها حرفيا ، فوقعوا فى أخطاء . ومن ذلك ما فعله متى حين أدخل الحمارين إلى قصة دخول المسيح أورشليم ، ليطبق نبؤة زكريا حرفيا .

وبالمثل وقع يوحنا فى نفس الخطأ حين أراد تطبيق قول المزمور ٣٤ « يحفظ جميع عظامه واحد منها لاينكسر » – وهو الذى لايعنى شيئا سوى التأكيد على سلامة العبد الصالح – على ما ذكره من أحداث الصلب ، وكيف أن المصلوب مات سريعا فلم تكسر الجند عظامه .

لقد اهتم يوحنا بسلامة عظام المصلوب فقط بينما قرر المزمور سلامته جميعاً : نفسا وعظاما .

ولقد رأينا كذلك كيف كانت تلوى كلمات العهد القديم ليا ، وتجمع بعضها على بعض جمعا لايسير وفق نص أو منطق ، إنما كان ذلك بغية الوصول إلى هدف سبق أن وضعه الكاتب نصب عينيه . بل إن الأمر وصل إلى حد التكلم عن نبؤات خلت منها أسفار العهد القديم ، ولا يعرف لها العلماء مصدرا أو أساسا .

لقد كانت حصيلة جمع الأغلبية العظمى من شهادات العهد القديم على الصور التى رأينا بعضا منها مثل الحصيلة التى يخرج بها قارىء رأى – لسبب أو لآخر – أن يقرأ الأخبار التى تحتويها الأعمدة الرأسية لجريدة يومية ، فى إتجاه أفقى على اتساع الصفحة الواحدة .

إنه لابد وأن يخرج بنتاج عجيب اختلط فيه الجد بالهزل واختلطت فيه الأخبار والأنساب .

★

هذا – ومن الملاحظ أن أغلب شهادات العهد القديم التى اقتبس منها كتبة الأناجيل وبقية أسفار العهد الجديد ، إنما ترد إلى سفرى المزامير واشعياء .

ولما كانت أغلب هذه الشهادات قد نقلت بمفاهيم لم يعد من الصعب إثبات خطئها ، فإن الأمر يقتضى أن يولى علماء العصر شهادات العهد القديم مزيدا من الدراسة والتمحيص ، مستلهمين روح العلم التى تبحث عن الحقائق فتعلنها مجردة للناس .

ولعل نقطة البدء فى هـذه الدراسة تكون بمراجعة المصادر الأصلية للشهادات وخاصة ما جاء منها فى سفرى المزامير واشعياء - وكذا مراجعة تراجمها المختلفة ، حتى لاتنحرف المعانى عن حقيقتها الأولى كما حـدث للمزمور ٢٢ ، الذى نقرأ فى تراجمه المتداولة : « ثقبوا يدى ورجلى » - بينما هى فى الأصل العبرى : « كلتا يدى مثل الأسد » .

ومن الواضح أن تلك الترجمة المنحرفة تخدم هدف الذين يتلمسون لصلب المسيح الحجج والمعاذير .

★ ★ ★